Examining the International Location of Arabic Literature and Culture Politics: King Oscar II's Prize as a Case Study

Haitham Sarhan
Prof of literature, criticism and discourse analysis
Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, Qatar University
P.O Box: 2713 Doha – Qatar
Office Phone number: (+974) 44036352
Mobile number: (+97455967933)
haithamsarhan@qu.edu.qa

DOI: 10.31973/aj.v1i137.1005

Abstract:

Arabic Literature has occupied a prominent position within world cultures, both past and present. In the past the literature reflected Arabs' impact on medieval civilizations, starting from the emergence of Islam and the spread of Arabic language outside of Arabia. Following the death of the Prophet Muhammad (PBUH), Arabic literature became the repertoire of knowledge, values, and identities that were produced in countless pieces of poetry, prose, tales, fables, speeches, and letters.

This paper argues that throughout history there has been an inextricable relationship between Arabic literature and the type of politics that Muslims have produced, enabling them to spread the message of Islam and expand beyond their immediate geographical locations. Similarly, the various religious, language, and political contributions of Muslims in the few decades following the emergence of Islam have transformed Arabic literature into a pillar of world cultures, leading many non-Arabs to be attracted to and captivated by it.

A modern manifestation of this captivation is exemplified by the prize initiated by King Oscar II of Sweden and Norway, who established an Academy of oriental languages in the 19th century. In consultation with Sultan Abdul Hamid II and the men of letters in Istanbul, the academy started a prize dedicated to Arabic literature and culture. The prize was won by prominent figures of Arabic literature at that time, including Iraq's Mahmud Shukri al-Alusi and Mauritania's Muhammad Mahmud al-Shanqiti.

This paper will examine the context behind this almost forgotten episode of the interaction between Arabic and Western literatures and cultures, arguing that this prize can be seen as a precursor to the current discussion concerning Arabic literature in world literature paradigm.

Keywords: Arabic World Literature Site, King Oscar II's Prize, world cultures, The Period of Decadence.

موقع الأدب العربيّ العالميّ والسّياسات الثقافيّة جائزة الملك أوسكار الثاني نموذجًا

الأستاذ الدكتور هيثم محمد سرحان
التخصص: الأدب والنقد وتحليل الخطاب
المؤسسة التّعليميّة: قسم اللغة العربيّة – كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر
haithamsarhan@qu.edu.qa

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتخذ الأدب العربيّ موقعًا بارزًا في الجغرافيا الثقافيّة العالميّة، وهو موقعٌ قديمٌ مُتجددٌ، فأمّا قدمه فيتصل في ارتباطه بأثر العرب ودورهم في المساهمة في مشروع الحضارة الإنسانية عن طريق الإسلام الذي استند على العنصر العربيّ الذي جسّد نموذجه البارز النبيُّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم –. ومن خلال مقوّمات الثقافة العربيّة المتمثّلة في القوى البشريّة، والقيم الحضارية، والهويّة اللغوية المتمثّلة في اللغة العربية وآدابها ومعارفها ومذخورها الهائل في الشعر والنثر والقصص والحكايات والأساطير والخُطب، والرسائل.

تتأسس فرضية هذه الورقة على تصوّر مُفاده أنّ هناك ارتباطًا وشيجًا بين الأدب العربيّ والسياسات التي عبّر عنها الإسلام والمسلمون في التوسّع والسيطرة والانتشار ونشر الإسلام في أصقاع العالم القديم. فقد أدّت الإنجازات السياسيّة واللغويّة والبشريّة والدينيّة التي أحدثها المسلمون في نصف قرن من بدء دعوة النبيّ في مكّة إلى تعميق صورة الأدب العربيّ في خارطة الأدب العالميّ، ومن ثَمّ الافتتان بحضارة العرب وآدابها.

لذلك تسعى هذه الورقة بحث السياقات المُتّصلة بجائزة الملك (أوسكار الثاني Oscar II) ملك السويد والنرويج الذي أنشأ مجمعًا علميًّا للغات الشرقيّة في العقد الثامن من القرن التاسع عشر. وقد كان يمنح هذا المجمع جائزة مُخصصة لأدب العرب وحضارتهم، وذلك بالتنسيق مع (السلطان عبد الحميد الثاني) ورجال السلطة والفكر والحضارة في إسلامبول.

وقد حصل على الجائزة في سنة ١٨٨٩ علاّمة العراق (محمود شكري الآلوسي)، وذلك عن كتاب ألّفه وفق معايير لجنة اللغات الشرقيّة في استكهولم، وهو كتاب: "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب". ثم تبعه (الشيخ محمد محمود الشنقيطيّ)، وذلك عن قصيدة عصماء تحاكي قصائد الشعر الجاهليين نشرت في سنة ١٩٠١.

الكلمات المفتاحيّة: موقعُ الأدب العربيّ العالميُّ، جائزة الملك أوسكار الثّاني، الثقافات العالميّة، عصور الانحطاط.

❖ **فرضية البحث وسؤاله**

للغة العربيّة وآدابها ومعارفها حضورٌ بارزٌ في الآداب العالميّة مثّل حالة من التفاعل المعرفيّ الذي أسهم في تشكيل موقع الأدب العربيّ الحضاري. وقد أسهم انتشار الإسلام في صعود الأدب العربيّ عالميًّا، في العصور الكلاسيكية والوسطى والنّهضة، وجعله يتبوأُ مكانًا مرموقًا في العالم. وعلى الرغم مما تعرض له العالم الإسلامي والعربيّ من غزو المغول بقيادة هولاكو خان Hulagu Khan بغداد سنة ١٢٥٨م، وتِسْعِ حملات وتسعة حروب صليبية (١٠٩٦ – ١٢٩١م) استهدفت بها أوروبا المسيحية المسلمين، وانتهاء بحملة (نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte) على مصر سنة ١٧٩٨ – ١٨٠١ م، إلاّ أنّ ذلك لم يَنَلْ من صورة العرب وآدابهم في المُتَخيَّل الغربي، بل إنّ موقع الأدب العربيّ حافظ على مكانة مركزيّة في آداب العالم القديم والوسيط وازداد صعوده على الرغم مما رُمي به في القرون التي سبقت عصر النهضة بكونه "أدب عصور انحطاط".

إنّ هذا البحثَ ينطلقُ من سؤال مركزي مداره: ما موقع الأدب العربيّ العالميّ إثْرَ انتشاره في العالم القديم؟ وما ملامح موقعه ومؤشراته العالميّة في مسيرة الأدب العربيّ الممتدة زُهاء خمسة عشر قرنًا؟

ويُناقشُ هذا البحثُ مسألةً تتصل بأنّ تقدير الأدب العربيّ العالميّ والاعتراف به قد تحقَّقَ بفاعليّة كبيرة منذ انتشاره عبر الإسلام الذي كان مقوّمه الأساسي اللغة العربيّة. على أنّ ذَينك التقدير والاعتراف لم يُتوَّجا بعدد من الجوائز التي تناسبُ مساحة الحضور الأدبي العربيّ؛ وذلك لأسباب تتصل بالسّياقات الثقافيّة التي لا تنفصلُ عن السياسات الحضارية.

وبعبارة أخرى، فإنّ مشروع الحضارة الإسلامية والعربيّة التطلّعيّ مثّل سببًا أساسيًّا في عدم منح الأدب العربيّ ما يستحقّه من جوائز تليق بحضوره الفاعل والممتدّ. ليس هذا فحسب، بل إنّ الأدب العربيّ ظلّ يحافظ على قدرٍ كبيرٍ من الخصوصيّة الثقافية التي حالت دون تلقيه بوصفه أدبًا كونيًّا. مما يعني أنّ خصوصية الأدب العربيّ وتميّز أنساقه وسياقاته وعلاماته وإحالاته تُمثّلُ عائقًا دون وصوله إلى الآفاق العالميّة، ومن أمثلة ذلك، في الأدب: شعر المُعَلّقات، والمقامات، والساق على السّاق فيما هو الفارياق، وحديث عيسى بن هشام. (كيليطو، ٢٠٠٢: ص ١٢–١٣، ص ٨١–١٠١).

❖ **مفهوم الأدب العالميّ**

يُشيرُ مصطلحُ الأدب العالميّ Weltlieratur أو World Literature الذي صاغه الكاتب الألماني (غوته Goethe) سنة ١٨٢٧ إلى "دائرة واسعة تضمّ مجموعةً كبيرةً من الآداب القوميّة والوسيطة والحديثة، يتوضّع بعضُها في المركز من هذه الدّائرة، في حين يقبع

بعضها الآخر في المحيط منها، ويشغل البعضُ الثّالث مواضع مُتفرّقة فيما بين المركز والمُحيط". (اصطيف، ٢٠٠٠: ص ١٨٣ – ١٨٤).

ويصدرُ الأدب العالميّ عن نزعة أوروبيّة مركزيّة مُتعالية ترى في الأدب الغربيّ التي تعود جذوره إلى الأليـاذة Iliad والأوديسا Odyssey والإنياذة Aeneid مركزَ الأدب العالميّ، في حين أنّ الآداب غير الأوروبيّة تقع على هامش الآدب الغربية وفي مُحيطها. وتسعى هذه النزعة إلى البرهنة على أنّ "الأدب الغربيّ Westren Literature بأجناسه الرئيسية والفرعيّة، وتقنيّاته الفنيّة، وحساسيّاته النفسيّة والاجتماعية، وقيمه الجماليّة، ومشاغله الإنسانيّة، معيارٌ تُقوّمُ به الآداب الأخرى، وتقيس من خلاله تقدّم أيّ أدب آخر". (اصطيف، ٢٠٠٠: ص ١٨٤).

وإذا كان مفهوم الأدب، بوصفه مقولةً موضوعيّةً تتسم بالرّحابة، يقوم على نزعة إنسانيّة تتجاوز الحدودَ السّياسية واللغويّة والإقليميّة من جهة والخصوصيّاتِ العرقيّةَ والدّينيّةَ من جهة أُخرى فإنّ ذلك يعني أنّ الأدب العالميّ ينطوي على تنميط آداب العالم ومصادرة خصوصيّاتها؛ وعندما يتعيّن على الآداب غير الغربيّة محاكاة الحداثة الغربيّة Modernity وتمثّل قيمها، فإنّ هذا يتضمن تغريبًا لها وإفقادها خصوصياتها وسياقاتها المعرفيّة، الأمر الذي يكشفُ عن التَّطلّع إلى القضاء على التنوّع وإلغاء الاختلاف والتعدّد في الآداب ومن ثّم فإنّ الأدب العالميّ ذا المرجعيّة الغربيّة يتضمّن تفكيكًا لمفهوم الأدب نفسه، وتناقضًا مع الأدب العالميّ نفسه. (اصطيف، ٢٠٠٠: ص ١٨٥).

واستنادًا على هذه التصوّرات فإنّ للأدب العربيّ موقعًا أدبيًّا عالميًّا يتجاوز مفهوم الأدب العالميّ المُقترن بالمركزيّة الأوروبيّة الغربيّة، ويتمثّل هذا الموقع في عراقة الأدب العربيّ واستمراريته وتأثيراته النوعيّة في الأدب الغربيّ في العصور الوسطى بفعل ترجمات الأدب العربيّ التي أنجزتها أوروبا، والدّور الذي مارسه الأدب العربيّ في الحفاظ على الآداب الأوروبية والفارسيّة وقيامه بدور الوسيط الحضاري بين آداب العالم القديم. لقد كان للترجمة التي حققتها اللغة العربيّة عن طريق نقل نصوص آداب العالم القديم إلى أوروبا، وترجمة الأدب العربيّ نفسه إلى اللغات الأوروبيّة أثر كبيرٌ لا سيّما في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين؛ إذ مارست تلك التّرجمات دورًا مُهمًّا في إنهاض الفكر الأوروبيّ من عصور الظّلام وبعث آدابه وإحيائه، كما أنّها شكّلت تهديدًا لترابط الأيدولوجيّة الثقافية الأوروبيّة، ومارست تأثيرًا بارزًا في جمهور النُّخب الأوروبيّة. (Menocal, 1987:p 10–12).

❖ **المواقف النقديّة العالميّة من الأدب العربيّ: مدخل تأسيسيّ**

إنّ موقع الأدب العربيّ تتحدّد ملامحه التّفاعلية بدءًا من ظهور الإسلام سنة ٦١٠ م، وتتعيّن صلاتُه وامتداداتُه الإبداعية في سياقات تاريخيّة متباعدة وصولاً إلى عصر النهضة وما تلاها من مشروع الحداثة الذي نجم عن اتصال العرب بالحضارة الغربية في نهاية القرن الثامن عشر الميلاديّ. وهذا يعني أنّ للأدب العربي مسبرةً إبداعيّةً مُتجددةً ومسلكًا تاريخيًّا مُمتدًّا يتجاوز خمسة عشر قرنًا في المدى المنظور. ولعّل في البحث في صورة الأدب العربيّ وموقعه الثقافي العالميّ ما يكشف عن تفاعلات ثقافيّة مهمّة يستطيع الناظر فيها التمييز بين المواقف النقديّة والثّقافية العالميّة المُتّصلة بالأدب العربي وموقعه، وهي أربعة مواقف أساسيّة هي:

أوّلا: الموقف الافتتانيّ

ويقوم هذا الموقف على الافتتان بموقع الأدب العربيّ، والإعجاب بمنظومته اللغويّة وجملة المعارف التي رافقته، والانبهار بالطّفرة الزمنية التي تحقق فيها وانتشر خارج الجغرافيا العربية ليمتدّ في العالم القديم في غضون ثلاثة عقود بعد ظهور الإسلام في شبه جزيرة العرب (أوستلر، ٢٠١١: ١٤٦-١٦٢). ويمثّلُ هذا الموقف المستشرق الألماني (كارل بروكلمان Carl Brockelmann) وغيره من المُستشرقين والمُسْتَعربين والدارسين الغربيين ومنهم: (غوستاف لوبون Gustave Le Bon) و(أندريه ميكال André Miquel) وغيرهم. (سمايلوفيتش، ١٩٩٨: ص ٨٦-١٠٦، ص ١٨٥-١٨٦).

ويعرض (طه حُسين) هذا الموقف الذي يُجادلُ ويقوم على تصوّرٍ مفادُه أنّ الأدب العربي كان، قبل الإسلام، أدبًا محليًّا محدود الانتشار في شبه جزيرة العرب يفتقد، في تلك الحقبة، إلى التعبير عن العرب بوصفهم أمّةً مُتجانسةً تنتمي إلى عرق واحد وإنما كان أدبًا يترجم حالة الافتراق بين القبائل العربيّة التي كان لمعظمها شعراء ينطقون بمآثرها ويُعبّرون عن سِجلّ مكارمها، وكان لبعضها الآخر دواوين شعرية خاصّة بها (حسين، ١٩٥٣: ص ٨). واستأنف (طه حسين) محاججة آراء (كارل بروكلمان) الذي ذهب إلى أنّ آداب العرب المتقادمة، قبل الإسلام، تماثل، في محدوديتها ووضعيتها، آداب الزنوج وسكان جزر المحيط الهادئ من جهة سذاجتها في التعبير عن حياة بدائية للعرب في تلك الأزمنة. على أنّ الأدب العربي، حسب (كارل بروكلمان)، سيعرف انطلاقة كبيرة في القرنيين الخامس والسادس الميلاديين، وذلك عندما أتيحت له فُرصُ التلاقح والتلاقي والتّثاقف مع الحضارات الأخرى، والاتصال بضروب من أنماط الحياة في المجتمعات المُجاورة (حسين، ١٩٥٣: ص ١٠).

لقد رافق انتشارُ اللغة العربية وقرآنها وآدابها وعلومها خارج شبه جزيرة العرب إقبالَ غير العرب، ممن أسلموا ومن بقي على دينه، على تعلّم العربية واكتسابها اكتسابًا إبداعيًّا يتجاوز اكتساب مهارات اللسان التواصليّة؛ وذلك لأنّ الاكتساب اللغويّ الإبداعيّ يتجاوز الحالة التواصليّة الأساسيّة إلى تجسيد الحالة الإنتاجيّة التي توفّرها اللغة لأصحابها. فكان أنْ حظي بحفاوة العربيّة وآدابها شعراء ومفسرون وعلماء وأدباء من غير العرب صرفوا شطرًا كبيرًا من أعمارهم في خدمة اللغة العربيّة والإبداع في ميدانيها الرحبة وعلومها المتنوّعة، ليس هذا فحسب بل إنّ اللغة العربية وآدابها تجاوزت دورَ القنطرة الحضاريّة ذات الوظيفة الدّالّة على الانتقال من طور معرفيّ إلى طور معرفيّ آخر، وغدت جسرًا تَعْبُرُ عليها الثقافات والحضارات والآداب، وتتبادل في فضائها الرحب مقتنياتها ومدّخراتها النفيسة.

وفي غضون قرن بعد الإسلام أضحت اللغة العربيّة وآدابها التي كانت محدودة ومنحصرة في ألسنة قبائل العرب البدو في شمال جزيرة العرب لغة تتسع لآداب الحضارات المجاورة وفلسفاتها وثقافاتها مما أدى إلى قيام اللغة العربية بإنقاذ قدر كبير من كنوز اليونانيّة، واللاتينيّة، والفارسيّة عبر ترجمتها إلى العربيّة. علاوة على ذلك فإنّ اللغة العربية وآدابها مثّلا عاملا توحيديًّا لأمم الحضارات المجاورة بعد أنْ استطاع العرب إنهاء الصراع والانقسام بين الروم والفرس، وأصبح هذا الجزء من العالم القديم عربيًّا بامتياز. (حسين، ١٩٥٣: ص ١١-١٢).

ثانيًا: الموقف الإنكاري

يُقصدُ بالموقف الإنكاري من الأدب العربي ما مثّلته آراء مجموعة من المستشرقين والدارسين الذين يُنكرون مبادئ سيرورة الأدب العربيّ وانتظامه وفق مسارات تطوريّة ارتقائيّة شهدت نهايتها بعصر الأدب العربيّ الكلاسيكيّ Classical Arabic Litterer Period بوصفه عصرًا أدبيًّا ذهبيًّا. ويذهب هؤلاء إلى أنّ الأدب العربي شهد انحطاطًا قيميًّا وفنيًّا وإبداعيًّا جرّاء ما شهده العالم الإسلامي من تصدّعات في نموذجه الحضاري وانهيار لإمبراطوريته الشاسعة نتيجة غزو المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م، معتمدين على مبدأ مطابقة أحوال الأدب العربي بالأوضاع السياسيّة والاجتماعية والدينية والمذهبية والاقتصادية المُتَرَدّية فكان أنْ أُخضِع الأدب العربي إلى عملية تحقيبٍ Periodization، وهي عملية لا تنجو من مخاطر القراءات التعسفيّة، ولا تسلم من الاستثمار الإيديولوجي (موازان، ٢٠١٠: ص ١٨٧-١٨٩). أطلق المستشرقون والدارسون على هذه المرحلة التي أعقبت غزو المغول بغداد عصورَ الانحطاط The Period of Decadence. وهي مرحلة امتدّت زُهاء خمسة قرون انتهت، وفق آراء هؤلاء المُستشرقين والدارسين، بحملة نابليون بونبارت Napoleon Bonaparte على مصر سنة ١٧٩٨م (Allen, 2006: p 8-13).

وسوف يكون عصر النهضة الذي بدأ في مطلع القرن التاسع عشر، وفق ما قرره الدّارسون والـمُحقّبون، عصر انفتاح العرب على الثقافة الغربية ومباهجها. وصفوة أقوال التجديديين المؤمنين بمبدأ نقل علوم الغرب ومعارفه وآدابه: إنّ اتصال العرب بالغرب، عن طريق حملة (نابليون بونبارت) والرّحلات السّفارية والبعثات المتنوعة، قد مكّن الأدب العربي من استعادة التوازن الثقافي عبر تفاعلات عميقة "بين ما يتمّ اختياره واصطفاؤه من التراث العربي القديم والوسيط في لحظات ازدهاره، وما يتمّ قبوله من منجزات الثقافة الأوربيّة" (أحمد، ص ٢٠١٦: ٢٢).

ثالثًا: الموقف الارتيابيّ

يقوم هذا الموقف على تصور مُفَادُه أنّ للغرب موقفًا ثقافيًّا مُعاديًا للعرب وحضارتهم وآدابهم، ولعلّ جلاء هذا الموقف ينكشف في ما ذهب إليه (عباس محمود العقّاد) في كتابه الموسوم بـ"**جوائز الأدب العالميّة**"، إذ عرض جملة من النقائص التي توجّه معايير جائزة نوبل للآداب التي تُعدُّ أرفع الجوائز العالميّة، وناقش المآخذ التي حفّت بأداء أعمال لجان الأكاديميّة السّويديّة راعية الجائزة عبر مسيرتها الممتدة، وبحثَ الانحيازات الظاهرة التي رافقت مسيرتها بوصفها جائزة تتويج وتقدير لمن حقق نبوغًا أدبيًّا باهرًا في أمّة تنشدُ السلام وتجتنب الحروب والنزاعات. كما أشار العقّاد إلى الإجحاف الذي تمارسه هذه الجائزة لأسباب تتصل بالتواء المنظورات التي تحكم عملها، وإلى المضمرات السياسية التي تتدخّل في بلورة قرارات لجان الأكاديميّة السويدية التي تخضع إلى نفوذ القوى السياسية والأيدولوجية وهيمنتها، ومن ثَمَّ، فإنّ ما تصدرُ عنه جائزة نوبل في الآداب من معايير أساسية تتمثّل في رصد تطور الحياة الفكريّة، والإجادة في الفن والأدب، والعمل من أجل قضية السلام والثقة بالـمُثل الإنسانيّة العالية هي نفسها المعايير التي استُبعد بها ومن خلالها نَفَرٌ من الأدباء والكتّاب، ولم يحصلوا على الجائزة على الرغم من علو منزلتهم في الفن والأدب فضلا عن الترشيحات الرصينة التي وصلت إلى لجنة الجائزة دعمًا لهم. (العقاد، ٢٠١٤: ص ١٥-١٦، ص ٤٨، ٧٩-٨٠).

ولعل أبرز مُرشَّحَين عربيين لجائزة نوبل هما: (طه حسين)، و(عباس محمود العقّاد) اللذان رُشّحا عدة مرّات ولم يحظيا بالفوز بالجائزة مما يكشف عن تناقض صارخ في معايير الجائزة (أبو العلا، ١٩٩٦: ص ١٦). ويظهر أنّ موقف لجان الأكاديميّة السويدية في جائزة نوبل في قد نتج، في قرار عدم منح الجائزة لـ(طه حُسين) و(عبّاس محمود العقّاد)، عن عُقدة الغرب من الحروب الصّليبيّة إضافة إلى الصراع العربيّ الإسرائيليّ وعدم اعتراف العرب بقرار الأمم المُتّحدة بشأن قيام دولة إسرائيل.

ويندرجُ، في هذا السّياق، الموقف من الرواية الذي عبّر عنه (عبّاس محمود العقّاد) في كتابه الموسوم "كتابٌ في بيتي"، إذ صرّح بأنّ الرواية لا تُمثّلُ أجود منتجات العقل والمعرفة، وأنّ ثمار الرواية، مهما بلغت جودتها ولذّتها ونضارتها، لا تبلغ ثمار الشّعر أو النقد أو البيان المنثور (العقّاد، ١٩٨٢: ص ٣١٨ – ٣١٩).

إنّ تقييم التجارب الأدبية للكتاب المُرشَّحِين للحصول على جائزة نوبل للآداب يخضع إلى توافق الشروط الفنيّة وتلاقيها مع الأهواء السّياسيّة للجان الجائزة التي ترعاها الأكاديمية السويديّة التي جعلت الخصومة مع اليهود والموقف من الصّهيونيّة سببًا في حرمان عدد من الأدباء المرشّحين للجائزة من الفوز بها على الرغم من امتلاك أعمالهم وتجاربهم الشروط الفنية. (أبو العلا، ١٩٩٦: ص ١٦).

رابعًا: الموقف الاتِّباعيّ

يقوم هذا الموقف على رؤية تبعيّة ترى في أنّ الأدب العربي الحديث قد شهد نبوغًا وتميّزًا بسبب الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام وما نجم عنها من اتّصال العرب بالفكر الغربي وآدابه وعلومه، وانفتاح مصر وبلاد الشّام على المعارف الوافدة من الغرب جرّاء حملات المُبشّرين وانتشار التعليم النظامي ووسائل الكتابة والنشر، وهو موقف يصدرُ عن سيطرة الغرب ومركزيته وتاريخه الاستعماريّ ورغبته العارمة في إلحاق الخاضعين له بمنظومته السياسية ومداراته الفكرية والأدبيّة، وهي رغبة تجسّد النرجسيّة الاستعمارية (كازانوفا، ٢٠٠٢: ص ١٧٧). ويذهب دُعاة هذا الموقف أنّ اتصال العرب بالغرب قد حقق لآداب العربيّة غايتين؛ الأولى: البحث في أسباب النهوض والعودة إلى الينابيع والأصول والتقاليد الأدبية الكلاسيكيّة التي محتها عصور الانحطاط لتجعل من الأدب تقليدًا وموروثًا جامدًا، والأخرى: استطلاع آداب الغرب ومذاهبه الفنيّة والتّعرّف إلى أجناسه الأدبية التي تطورت في السياق الغربي والاستفادة منها والإبداع على منوالها. وقد تحققت للعرب هذه النهضة الأدبيّة منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي واستمرّت حتى ميلاد الأدب الحديث في سنة ١٩١٤. (هدّارة، ١٩٩٠: ص ١٨ –١٩).

ولعل في استقدام الرواية إلى الأدب العربي من الآداب الغربيّة ما يكشف عن ارتهان الأدب والنقد العربيين إلى "النظرية النقدية الغربيّة"، ومطابقتها الواقع الأدبي العربي في سياقاته التطورية بالآداب الغربيّة، وهو ما يُلغي خصوصية الأدب العربي ويعزله عن سياقاته الثقافية من جهة، ويجعله صدىً لمنظومة الآداب الغربية وتابعًا لها من جهة أخرى. (يقطين، ٢٠١٢: ص ٢٣–٢٤). على أنّ هناك موقفًا يسعى إلى التقليل من تقدير الأثر الأوربيّ في نشأة الرواية العربية وعدم الاعتراف به، وذلك من خلال التعامل مع المؤثرات الغربية الأوربيّة بوصفها مكوّنًا من مكوّنات "عملية النهضة التي قامت على تفاعل الموروث

والوافد في سياق من الشّروط التي فرضتها اللحظة التاريخية. ويعني ذلك أنّ تولّدَ الرواية العربيّة – منذ ابتداء زمنها – كان نتيجة تفاعلٍ بين الموروث والوافد، بين السرديات التراثية والأشكال الروائيّة الأوربيّة". (عصفور، ٢٠١٤: ص ٤٠).

ولعل هذا الموقف يصدر عن نزعة المركزية الغربيّة ومشروعها الكولونيالي وتطلعاتها في الهيمنة والسّيطرة والتّحكم في بناء الهويّات والجماعات، ووفق دراسات التَّابع Subaltern Studies التي تمثّل مكونًا أساسيًّا في خطاب ما بعد الاستعمار Postcolonial Discourse فإنّ الإمبريالية والاستعمار يعمدان إلى بناء مفاهيم هيمنة شاملة تُعيد إعادة إنتاج العلاقات كلّها لتصبح مرتهنةً بالمركز الكولونيالي ومَدَاراته في الوقت الذي تعمل فيه على زعزعة المورّثات الحضارية وخلخلة الأعراف الأدبيّة التي يملكها المُسْتَعْمَر وتأمين الظروف الملائمة لجعله تابعًا أمينًا من خلال تفكيك أبنيته الاستعارية والأدبيّة وتقويض مفهوم أمّته ونسف تخييله الثقافي. (شاكرابارتي، ٢٠١٦: ص ١٧–١٨).

إنّ حصول (نجيب محفوظ) على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٨ يتضمّن إشارة مهمّة إلى أنّ فرادة تجربته الإبداعية وتميّزها لا يعودان إلى أسباب ذاتية تتصل بالأدب العربي وتميّز تجربة نجيب محفوظ نفسه، وإنما لأنهما يرتبطان بالسياق التَّبَعيِّ الذي يسعى الغرب إلى تعزيز نفوذه في أوساط المثقفين والكُتّاب في العالم عبر السيطرة والإلحاق بهدف إقامة نظام الأدب العالمي الذي يسعى إلى تحقيق الهيمنة الأدبيّة التي توازي الهيمنة السياسيّة عبر إنشاء بورصة للقيم الأدبيّة المتماثلة مع القيم السّياسيّة التي تنتجها المركزية الغربيّة وترعاها. (كازانوفا، ٢٠٠٢: ص ١٧–٢٥، ١٨٠).

وبعبارة أخرى، فإنّ إبداع (نجيب محفوظ) الذي استحقّ به جائزة نوبل يُمثّلُ، وفق ممثلي النظام الأدبي العالميّ، ثمرةَ السياق الحضاري الغربي ووصايته على العالم العربي وآدابه، ودليلاً جليًّا على المركزية الغربيّة الأوربيّة التي تهدف إلى تنميط الآداب العالمية (كازانوفا، ٢٠٠٢: ص ١٧٨). ليس هذا فحسب بل إنّ جائزة نوبل التي مُنحت لـ(نجيب محفوظ) تتضمّن إنكارًا للإبداع العربيّ ونفيًا للأدب العربيّ خلافًا لما تُظهرهُ من تقدير اعتراف وقبول. والدليل على ذلك أنّ الجائزة مُنحت لإحدى مُنتجات الغرب الإبداعيّة المُتمثّلة في الرواية العربية التي تُعدُّ جنسًا أدبيًّا غربيًّا ولد ونشأ وتطور في عصر النهضة عقب حملة (نابليون بونبارت)، وليس لخصوصية تجربة (نجيب محفوظ) الإبداعية التي لا يُمكن الانتقاصُ منها والتقليلُ من شأنها. ليس هذا فحسب بل إنّ منحَ جائزة نوبل للرواية العربية وعدم منحها للشّعر العربي الذي يُعدُّ ديوان العرب الأزليّ يكشف عن موقف الغرب من المُتخيّل الشعري العربيّ والرغبة في الانتقاص من قَدره وتقويضه والاستهانة بمنزلته الثقافية لا سيما أنّ نشأة الرواية العربيّة، وقت حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل، لم

تكن قد تجاوزت قرنًا من الزمن، وهي نشأة قصيرة قياسًا بنشأة الشعر العربي التي تتجاوز خمسة عشر قرنًا.

إنّ استطاعة نجيب محفوظ أنْ يتصادى مع كبار الروائيين الغربيين، ويتكلّمَ بلغتهم في كتابة الرواية باتجاهاتها المختلفة هو أحد المعايير الأساسيّة التي أسهمت في تعزيز فرصته لنيل جائزة نوبل، الأمر الذي يعني أنّ أدب نجيب محفوظ يملك إمكانية القراءة خارج السياقات العربية، وذلك بسبب ما ينطوي عليه من إحالات عامّة على الواقع يمكن فهمها وإدراكها كونيًّا دون معوّقات تراثية ذات خصوصية عربيّة تحجبها عن الذيوع والانتشار. (Khalifah, 2017: p 519).

علاوة على ذلك، فإنّ تجربة (نجيب محفوظ) نمت ونضجت في مراحلها المتقدّمة بعد اتفاقيّة (كامب ديفيد) بين مصر و"إسرائيل" سنة ١٩٧٩ التي دشّنت معاهدة سلام تضمّنت اعترافًا بإسرائيل بعد عقودٍ من الصراعات والحروب الدّامية. يؤكّد ذلك حصول الرئيسين الراحلين، المصري (محمد أنور السّادات)، والفلسطيني (ياسر عرفات) على جائزة نوبل للسلام لأسباب سياسيّة تتصل بالموقف من "إسرائيل".

وبالجُملة فإنّ النظام الأدبيّ العالميّ يتطلّع إلى نزع صفات الأصالة والخصوصيّة عن الآداب وجعلها نُسخًا من صور الهيمنة التي تُعزّزها المركزيّة الغربيّة الهادفة إلى تحقيق السيطرة على الآداب وإلحاقها بنماذجها السياسيّة والأدبيّة وإخضاعها لهيمنتها الشاملة.

❖ **جائزة الملك أوسكار الثاني: ملوك عجم مفتونون بحضارة العرب وآدابها**

تُمثّلُ جائزة الملك (أوسكار الثاني Oscar II) (١٨٢٩ –١٩٠٧) ملك السّويد والنرويج نموذجًا مُفارقًا وبارزًا على التقدير العالميّ للأدب العربيّ في سياقه الموضوعيّ الذّاتيّ بعيدًا عن تأثّره بالغرب، وتكشف عن الرّغبةِ في معرفة أحوال العرب وآدابهم وتاريخهم بمعزل عن المؤثّرات الكولونياليّة. ومن أجل تحقيق هذه الغاية فقد حرّرَ الملك (أوسكار الثاني) في قصر استوكهولم Stockholm الملكيّ مرسومًا ملكيًّا ساميًا في يناير ١٨٨٦ يُعلنُ فيه عن مُسابقة ملكيّة. وقد نشرت المرسومَ مجلةُ المُقْتَطَف في عددها السّابع من السنة العاشرة الصّادر في شهر أبريل ١٨٨٦، ونصّ المرسوم على لسان الملك: "لـمَّا كان جُلُّ رغبتي مُنحصرًا في نشر ما اشتملت عليه لغاتُ الأمم الشّرقيّة، وتواريخها من المعارف؛ لما لها من الأهميّة العُظمى في تاريخ التّمدّن الإنسانيّ، وكان ذلك غيرَ معروفٍ تمام المعرفة، اعتمدتُ الإعلان بأني سأمنحُ من يؤلّفُ أحسنَ تأليفٍ في حالة تمدّن العرب قبل الإسلام بألفٍ وسبع مئة وسبع وثمانين فرنقًا ونيشانًا ذهبيًّا قيمته ألفٌ وأربع مئة وثلاثون فرنقًا تقريبًا، وتكون صورتي منقوشة على إحدى صفحتيه، وعلى الثّانية اسم المؤلّف الذي أخذ الجائزة، واسم تأليفه المُجزى عليه". (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٥–٤٠٦).

❖ **لجنة جائزة الملك أوسكار الثاني العلميّة**

وقد شُكّلت لجنة ملكية استُنفرَ لها صفوةٌ من أكابر علماء الشّرقيات لغايات البحث والحُكم على التآليف المُشاركة في المُسابقة والمُرشّحة للحصول على الجائزة، أبرزهم: البروفيسور (إلياس بلكس Elias Blix) أستاذ الشرقيّات في جامعة أوسلو ووزير التربية والتعليم وشؤون الكنيسة في مملكة السويد والنرويج، والبروفيسور (فليشر Zielstrebig baute Fleischer) أستاذ الشّرقيّات في جامعة لايبزغ الألمانيّة، والبروفيسور (نولدكه Theodor Nöldeke) أستاذ الشرقيات والأدب العربي وعلوم القرآن في جامعة ستراسبورغ الفرنسيّة، والبروفيسور (ميشال جان دي غُويه Michael Jan de Goeje) أستاذ الأدب العربي في جامعة ليدن الهولنديّة، والبروفيسور (وليام رايت William Wright)أستاذ العربيّة وآدابها وعلومها في جامعة كامبريدج البريطانيّة، والبروفيسور (اغنازيو غوديه Ignazio Guidi) أُستاذ الشّرقيّات والدراسات السّاميّة في جامعة روما الإيطاليّة، والبروفيسور أسايس تيغنر (Esaias Tegnér) أُستاذ السّاميات في جامعة لُنْد السّويديّة، والبروفيسور (هرمان زوتنبرج Hermann Zotenberg) عالم الشرقيّات ومعاون مدير المكتبة الوطنيّة في باريس الفرنسيّة، و(الكونت كرلودي لندبرج Count Carlo Landberg). (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٦). وإضافة إلى عضوية (الكونت كرلودي لندبرج) في لجنة جائزة الملك أوسكار الثاني فقد حظي بمنصب كاتب أسرار اللجنة. ليس هذا فحسب بل إنّ مرسوم اللجنة أتاح لأعضاء اللجنة المُشاركة في المسابقة، بعد أنْ احْتُرِزَ باستبعاد المُرشّح من عضوية اللجنة إذا ما رغب في المشاركة. يقول نصّ المرسوم الملكيّ: "وإذا طرأ على أحد الأعضاء ما يوجبُ تخلُّفه كأنْ أراد هو أنْ يؤلِّف كتابًا في هذا الموضوع، أو فَجَأَه مانعٌ آخر، فاللجنة تختارُ من تشاء بدله، وعليها أنْ تُقدّم لي قبل انتهاء سنة ألف وثمان مئة وثماني وثمانين بما رأته في المؤلّفات المُقدّمة له، مع عرض اسم المُؤلّف الذي يمتازُ بالجائزة". (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٧). كما تضمّنت الجائزة وعدًا بنشر الكتاب الفائز بالجائزة في مدينة ليدن الهولندية، "وأنْ يُدفَعَ للمؤلِّف عن كل ست عشرة صفحةً مئة وخمسًا وعشرين فرنقًا، فإنْ كان الكتابُ مُهمًّا في نفسه، ولكن فضلَه غيره بالجائزة فإنّه يطبع أيضًا، غيرَ أنه لا يُدفع لصاحبه شيءٌ" (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٨).

❖ **سفراء مستشرقون**

تفيد النصوص أنه كان لسفير مملكة السويد والنرويج ووكيلها السياسيّ في الدولة العثمانية (الكونت كرلودي لندبرج Count Carlo Landberg) (١٨٤٨-١٩٢٤) أثرٌ كبيرٌ في تحقيق فكرة جائزة الملك أوسكار الثاني، فقد درس الكونت كرلودي لندبرج في استكهولم وتخرّج فيها سنة ١٨٦٩. واستطاع، بعد ذلك، أنْ يُحقق حضورًا متميّزًا في حقل اللغات

الشرقيّة بعد انكبابه على دراسة الأركيولوجيا والسنسكريتية والعبريّة والتركيّة في سويسرا، ثم سافر بعدها إلى سوريا سنة ١٨٧٣ وقضى في أرجاء البلاد الإسلاميّة العثمانية عشر سنوات حصل بعدها على درجة الدكتوراه سنة ١٨٧٣ في جامعة لايبزج الألمانيّة بإشراف البروفيسور (فليشر Zielstrebig baute Fleischer). وقد حظي الكونت كرلودي لندبرج بالزواج من (غابرييلا هنريت فريديك فان هال برغر Gabriele Henriette Frederique Von Hallberger) وهي امرأة ذات ثروة هائلة ورثتها من أحد أقاربها الأثرياء مما أدّى إلى تحسّن أحوال الكونت كرلودي لندبرج المالية والأكاديمية بدءا من سنة ١٨٨٤، ومنحه الحوافز لمتابعة دراساته وإنجاز تطلّعاته. وقد مثّل الكونت كرلودي لندبرج السويد في مؤتمر الشرقيات السابع الذي عُقد في فيننا سنة ١٨٨٦، وخلال مشاركته استطاع التحضير لمؤتمر الشرقيات الثامن في استكهولم سنة ١٨٨٩، وتولى بنفسه منصب سكرتاريا المؤتمر العام. وقد أُتيحت له الفرصة في شتاء ١٨٨٤-١٨٨٥ إلى السفر مرافقًا الأميرين السويديين (كارل Carl)، و(يوجين Eugen) في رحلة إلى مصر بوصفه رفيقًا مرشدًا ودليلاً ومتحدّثًا، ثم عيّنه الملك (أوسكار الثاني)، من مقرّ إقامته في إستانبول حيث كان يقضي إجازته برفقة زوجته الملك (صوفيا ناسو Sophia of Nassau)، في السنة نفسها مبعوثًا لمملكة السويد والنرويج في الدولة العثمانية؛ إذ عُيّن (الكونت كرلودي لندبرج) في شهر مارس ١٨٨٧ قنصلاً لمملكة لسويد والنرويج في الإسكندريّة، وفي وقت لاحق صار قنصلاً وممثلاً دبلوماسيًّا لها في مصر. (Macro, 1993: p 60-61).

يورد (عبد الرحمن بدوي) أنه قد كان لإقامة (الكونت كرلودي لندبرج) في القاهرة أثرٌ عظيمٌ وعنايةٌ بالغةٌ في إبراز جهود علماء العربيّة وآدابها وحضارتها في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. كما تمخّض عمله في دراسة اللهجات العربيّة في الشام وشبه جزيرة العرب عن نشر بعض معاجم اللهجات العربيّة، ومشاركته في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في الجزائر سنة ١٩٠٥ ببحث عنوانه: "اللغة العربيّة ولهجاتها"، إضافة إلى جهوده النقدية وعمله في نشر فهرس مخطوطات عربية في إحدى المكتبات الخاصة في المدينة المنوّرة. (بدوي، ١٩٩٣: ص ٥٠٨-٥٠٩).

❖ **جائزة كتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب"**

يذكر (محمد بهجة الأثريّ) أنّه قد كان للملك (أوسكار الثاني) تقديرٌ كبيرٌ لحضارة العرب ولغتهم وآدابهم مما دفعه إلى توجيه لجنة اللغات الشرقية في استكهولم لاختيار موضوع يرتبط بحضارة العرب، فكان أنْ أقرّت اللجنة، بعد طول دراسة ونقاش، الموضوع، وجعلت له إطارًا معرفيًّا، وجائزة سنيّة، ووجّهت الدعوة إلى المشتغلين بعلوم العرب وحضارتهم للمشاركة في المسابقة، وبثّتها في مشارق الأرض ومغاربها لتأليف كتاب يتناول

أحوال العرب في الجاهلية، وعوائدهم في المأكل والمشرب والزواج، وتفصيل مجامعهم ومفاخرهم وأعيادهم وأفراحهم وأوابدهم ومعتقداتهم ومتعبّداتهم وعلومهم وصنائعهم، وأشهر رجالهم في الجود والحلم والحكم والشجاعة والشعر والخطابة والطب. إضافة إلى الفوارق بين أهل البادية وأهل الحضر، وبيان فضل العرب على غيرهم، ويجلّي قبائل العرب وجغرافيتها ومساكنها، ويوضّح معارف العرب وأشكال تواصلهم وتجاراتهم، مع إقامة الأدلّة والبراهين والحجج والاستدلالات من الشعر الجاهلي، ومنثور العرب وكلامهم الجاهلي، ومن القرآن الكريم، وما صحّ من أحاديث النبي، والسير والتراجم، والتواريخ الصحيحة. علاوة على الكشف عن أسرار تقدّم العرب على غيرهم وتغلّبهم على ممالك واسعة وأقطار شاسعة، وبيان عوامل انتشار اللغة العربيّة والعرب في العالم القديم بسرعة مذهلة. (الأثري، ١٩٢٦: ص ٩٣).

❖ **جائزة الملك أوسكار الثاني والروابط الثقافية العثمانيّة**

أورد (أبو المعالي محمود شكري الآلوسيّ) (١٨٥٧ – ١٩٢٤م) تلقيه نبأ خبر المرسوم الملكيّ في كتابه الموسوم بـ"بدائع الإنشاء"، وعرض فيه دوافعه في الترشّح للحصول على الجائزة. إذ قال: "وبعد أنْ وصلَ إليّ هذا الخبر، وقفتُ على ما بُيّن وذُكر، ترددت في التصدّي لهذا التأليف، والإقدامِ على هذا التصنيف، وإنْ كان المطلبُ من أحسن المطالب، ومناقب العرب من أجلّ المناقب، ملاحظةَ أنْ يُقال: إنّ الذي كان في هذا الباب، طمعًا في نيل ما أعدّوه من جائزة الكتاب، ويأبى الله أنْ تدنوَ نفسٌ لذلك الحقير، والنائل اليسير، غيرَ أنّ بعضَ الإخوان شوّقني على التّصدي في الاشتغال، وصرف النظر عن هاتيك الخواطر وتخيّل ذلك الخيال، فإنّ إعلاءَ شأن العرب، لا يمنعه مانعٌ ولا يقومُ في تركه سببٌ، فهم القومُ الذين اتّصفوا بشرف النّفس وعلوِّ الجناب، وكرم السّجيّة ومحاسن الأخلاق وسائر الآداب، مع مراعاتهم للعهود، ووفائهم بالعقود، وغيرتهم الجبلّيّة، وشجاعتهم الطبيعيّة، فكتبتُ بأقلِّ من مُدة، وعدم العُدّة، كتابًا حافلاً، وسِفْرًا شاملاً، سمّيته: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، وأرسلته إلى ما عيّنوه من المحلّ، فيما سبق من القول المُفصّل". (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٨-٤٠٩).

ليس هذا فحسب بل إنّ (محمود شكري الآلوسيّ) قد صرّح بأنّ ترشّحه لجائزة الملك (أوسكار الثاني) كان هدفه الأساسيّ إبراز أثر رعاية الدولة العثمانيّة علماءَ العربيّة والإسلام. يقول (الآلوسي) مُتحدّثًا عن البواعث في الاستجابة لدعوة الملك (أوسكار الثاني): "حيث لم أجد لي عُذرًا في الوقوف دون غرضه، ولا ما يسهّلُ عليّ الإخلال بكلِّ ما رامه ولا ببعضه، لما أنّ وليَّ أمرنا أيّد اللهُ تعالى دولته، وأعلى في الخافقين صيته وسطوته، قد أحسن أمتاع العلم وأعزّ أهله، ولا زال مأوىً لهم وله، إنْ أظلمَ شقٌّ منه كان لهم فيه سراجًا،

أو طُمِسَ منارٌ له وجدناه إليه منهاجًا، أو قعدَ غيره عنه قام بأعبائه، مُراميًا عن حوزته من أمامه ووراءه، مُتقيّلاً آثار أسلافه الغُرّ الأطايب، الذين خصّهم الله تعالى بأرفع المراتب، وانتضاهم من سلالة النُّجباء والنّجائب، فاستوجبَ مرعيُ ذِممه، ووكيدُ عصمِه، أنْ يفيضَ معروفه على كلّ سائل، ويصلَ نائله لجميع السّاحات والمحافل، فبادرتُ في الحال لإنجاز ذلك المطلوب البديع المنوال، فحرّرتُ ما حرّرت، وقرّرتُ ما قرّرت، مما بلغتُ فيه بحمد الله تعالى من ذلك فوق قَدْر الكفاية، وحزتُ بتوفيقه سبحانه قصبَ السّبق إلى الغاية". (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤٠٩-٤١٠).

لقد ظفر (الآلوسيّ) سنة ١٨٨٩ بجائزة الملك (أوسكار الثاني) المالية مشفوعة بوسام ذهبي من الملك (أوسكار الثاني) لتأليفه كتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" في ثلاثة مجلدات نالت تقريظ لجنة اللغات الشرقيّة بعد أنْ عرضت كتاب الألوسي أمام اللجنة في احتفال بهيج حضره الأديب العثمانيّ أحمد مدحت أفندي بوصفه ممثل السلطان (عبد الحميد خان). وقد حكمت اللجنة بفوز الكتاب. (الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤١٥-٤١٦).

وطبقت شهرةُ نابغة العراق (محمود شكري الألوسي) وكتابه الآفاق بعد فوزه بجائزة الملك (أوسكار الثاني)، وأصبح المستشرقون والمشتغلون بعلوم العربيّة وآدابها من جميع البلاد يتوافدون عليه في بغداد قاصدين النّهل من علومه، واستطلاعَ آرائه، والاقتباسَ من أبحاثه، والإفادةَ من دروسه. ومن أبرز هؤلاء المستشرق الفرنسي (لويس ماسينون Louis Massignon) الذي صرّح في محاضرة قدّمها في مدرسة الحقوق العربيّة بدمشق بفضل الآلوسي في إفهامه أهمية ملتقى الأدبين: الشرقيّ والغربيّ، فضلاً عن التقريظ الذي كتبه سفير مملكة السويد والنرويج ووكيلها السياسيّ (الكونت كرلودي لندبرج) في رسالتين نشرهما (محمد بهجة الأثريّ) في سياق حديثه عن فوز الآلوسي بالجائزة (السّامرّائي، ١٩٩٢: ص ١١)، و(الآلوسي، ٢٠١٤: ص ٤١٠-٤١٣).

❖ جائزة الملك أوسكار الثاني في الشّعر العربيّ

سوف يكون الشيخ (محمد محمود بن التلاميد التركزيّ الشنقيطيّ) (١٢٤٥ هـ – ١٣٢٢ هـ / ١٨٢٩ – ١٩٠٤م) ثاني علماء العربيّة الذين حظوا بنيل جائزة الملك (أوسكار الثاني) بيان ذلك ما ورد في فاتحة كتاب الشيخ (ابن التلاميد التركزيّ الشنقيطيّ) الموسوم بـ "**الحماسة السنيّة الكاملة المزيّة في الرحلة العلميّة التركزيّة الشنقيطيّة**" المنشور بمصر المحروسة سنة ١٩٠١ ونصّه حسب ما أورده الناشر (إسماعيل حافظ): أنّ ملكَ السويد والنرويج (أوسكار) قد أرسل إلى أمير المؤمنين السلطان (عبد الحميد خان) في سنة ١٣٠٦ هـ/١٨٨٨م يسأله ويرجوه أنْ يأذن للشيخ (محمد محمود بن التلاميد الشنقيطيّ) أنْ يحضر إلى "مجتمعه الشرقيّ العام" الذي سينعقد للمرة الثامنة بمدينة استكهولم؛ وذلك ليكون الشيخ

(ابن التلاميد الشنقيطيّ) مُمثّلًا للعالم الإسلاميّ في هذا المُجتمع الشرقيّ الذي سينعقد لإعلاء لغة القرآن الكريم (التركزيّ الشّنقيطي، ١٣١٩هـ/١٩٠١م: ص ٢).

وقد أقنع (الكونت كرلودي لندبرج) الملك (أوسكار الثاني) بفكرة منح جائزة للشعر العربيّ، ليس هذا فحسب بل إنه أشار عليه بأنّ ينهج نهج ملوك العرب وخلفاء المسلمين الذين كانوا يمنحون الجوائز السّنيّة للشعراء ويكافئونهم على قصائدهم ومدائحهم. وقد نتجت هذه الرعاية إثر انكباب السفير على معارف العرب، وانصرافه إلى آدابهم، وعنايته بحضارتهم وأحوالهم وشؤون بلدانهم وممالكهم ومسالكهم بعد أنْ قضى ما يقارب عقدين من الزمان في التّرحال في أرض العرب. وقد خلّفت هذه التجربة الخلاّقة صدى كبيرًا في المملكة وقصر الملك (أوسكار الثاني) في استكهولم. وقد نشر (الكونت كرلودي لندبرج) أعماله باسم (الشيخ عمر السويديّ)؛ "لترويج تلك الكُتب المطبوعة عند المسلمين"، وقد أثمرت أعماله، في خدمة العربيّة وآدابها ولهجاتها، عن مؤلفات جليلة من أبرزها؛ كتابَ العماد الأصبهاني "الفتح القسي في الفتح القدسي" الذي يتناول فتح بيت المقدس وحروب صلاح الدين مع الصليبيين، علاوة على عنايته بالتحقيق الذي تمثل في تحقيق ديوانين شعريين؛ ديوان زهير بن أبي سلمى، وديوان أبي محجن الثقفي. (التركزيّ الشّنقيطي، ١٣١٩هـ/١٩٠١م: ص ٣)، و(بدوي، ١٩٩٣: ص ٥٠٨-٥٠٩).

❖ الشيخ ابن التلاميد التّركزيّ الشّنقيطيّ في مرايا الأزهريين

لعلّ المعلومات المُتّصلةُ بابن التلاميد التركزيّ الشنقيطيّ (١٢٤٥ هـ – ١٣٢٢ هـ / ١٨٢٩ – ١٩٠٤م) شديدة التقشّف؛ نظرًا لكون صاحبها قد عاش أهوالاً وأحوالاً مضطربة في الحجاز وإسلامبول والقاهرة التي عاش فيها نائيًا عن موطنه شنقيط، فألْحَق ذلك به ضروبًا من الضيم والإنكار والعداء من حسّاده وأقرانه العلماء الذين كانت قد ضعفت في نفوسهم الرّابطة الإسلامية، ووهت في ضمائرهم وشائج القربى المعرفية وصلات الرّحم العلميّة، فظنّ بعضهم أنّه لقمةٌ سائغة وصيدٌ سهلٌ يمكن النيلُ منه. غير أنّ هذه الظّنون ذهبت أدراج الرياح عندما ثبت لهؤلاء المرجفين أنّ الشيخ ابن التلاميد الشنقيطي خصم شديدُ العريكة قويُّ العارضة لا يُقعقعُ له بالشّنان، وتشهد بذلك معاركه الأدبية واللغوية في الحجاز ومصر وإسلامبول حاضرة الدولة العثمانية. (الشّلاّحي، د.ت: ص ١٧-٢٧).

وعلى الرغم من تقشّف الأخبار الواردة عن الشيخ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) إلاّ أنّ ذلك لم يُفقدها جوانب أهميتها لا سيّما أنّها صدرت عن علماء أثبات كانوا قد تتلمذوا على الشيخ ولقفوا عنه المعارف والعلوم اللغويّة. ومن أبرز هؤلاء: (محمد المويلحي) (١٢٧٤-١٣٤٨ هـ/ ١٨٥٨-١٩٣٠ م) الذي ذَكَر الشيخ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) في فاتحة كتابه الذّائع الصّيت "حديث عيسى بن هشام: أو، فترة من الزمن". يقول (محمد المويلحيّ) عن كتابه:

"وأُهديه إلى أرواح المرحومين: الأديب الوالد، والحكيم (جمال الدين)، والعالم (محمد عبده)، واللغويّ (الشنقيطيّ)، والشّاعر (البارودي)، أولئك الذين أنعم الله عليهم، وأولئك الذين تأدبتُ بأدبهم وأخذت بهديهم". (المويلحي، ١٩٤٥: ص ٢).

إنّ إشارة (محمد المويلحيّ) لا تدلّ على كون (ابن التلاميد الشنقيطي) أحدَ العلماء الذين تعلّم عليهم وتأدب وتأثّر بهم فحسب، كما أنّ هذه الإشارة تتجاوز الإشادة بكون (ابن التلاميد الشنقيطيّ) طودًا لغويًّا سامقًا. إنّ هذه الإشارة هي علامة مهمّة تدلّ على الطبقة العلميّة التي ينتمي إليها (ابن التلاميد الشّنقيطيّ) الذي سلكه (محمد المويلحي) مع أساطين علماء النّهضة وأعلام الفكر والأدب والتنوير في الديار المصريّة في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين؛ فالشيخ (ابن التلاميد الشنقيطي) يقع في طبقة (جمال الدين الأفغانيّ)، والإمام (محمد عبده)، والشّاعر محمود سامي البارودي.

أمّا (أحمد حسن الزيات باشا) (١٣٠٣ – ١٣٨٨هـ / ١٨٨٥ – ١٩٦٨)، صاحب مجلّة الرسالة، فقد كتب مقالا مهمًّا عن (ابن التلاميد الشنقيطيّ) عنوانه: "من ذكريات الأزهر: كيف عرفتُ الشّنقيطي"، ويروي (الزيّات) أنّه كان لـ(ابن التلاميد الشنقيطيّ) حضور بارزٌ في المساجلات العلميّة التي كانت تقع في الجامع الأزهر. يقول (الزيّات) مُتحدّثًا عن نخبة من طلبة الأزهر الذين كانوا ينشدون الاختلاف المعرفي ويختلفون إلى مجلس (ابن التلاميد الشنقيطيّ: "وكنّا على خلاف إخواننا الأزهريين في ذلك العهد نقرأُ الصُّحفَ ونغشى الأندية ونتتبع المعارك الأدبية في الضياء لليازجي ومصباح الشرق للمويلحي، والمؤيد لعلي يوسف. وكان حديثنا وحديثُ المُتأدّبين يدورُ على ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصُّحف من الجدل المُضطرم الحاد بين الحافظ الحُجّة الشّيخ محمد محمود الشّنقيطيّ وخصومه من علماء الأزهر وأُدباء العصر". (الزّيَّات، ١٩٦١: ص ٣٩١).

إنّ هذه الشهادة المُهمّة التي قدّمها (الزيّات) تكشف عن الأثر البارز الذي قام به (ابن التلاميد الشنقيطيّ) في بعث الحياة العلميّة في الأندية والصّحف المصريّة في نهاية القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إضافة إلى قدراته الفائقة في التصدّي لجمهرة من أدباء العصر وعلماء الأزهر الذين كانوا يقفون منه ويقف منهم موقف الخصومة.

يروي (أحمد حسن الزيّات) السياق الذي قَدِمَ فيه الشّيخ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) إلى مصر سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩م، فيقول: "وكان الشيخ قد هاجر منذ قريبٍ من مدينة الرّسول إلى قاهرة المُعزّ فوجد من الإمام محمد عبده لقاء جميلا وعطفًا كريمًا، فأجرى عليه رزقًا من الأوقاف، ووكل إليه إحياءُ الأُمّهات العربيّة الكبرى، فنشر المُخصّص وحرر القاموس وأملى الأراجيز" (الزّيَّات، ١٩٦١: ص ٣٩٢).

لقد ارتبطت دعوة الإمام (محمد عبده) (١٢٦٦ – ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ – ١٩٠٥م) الإصلاحيّة بإحياء الأمة الإسلاميّة ودفعها لمواكبة العصر، وهي دعوة كان قد لقفها عن شيخه (جمال الدين الأفغانيّ) (١٢٥٤ هـ/1314هـ – ١٨٣٩م /١٨٩٧م) بهدف إنشاء حركة فكرية إسلامية تجديدية. ولعلّ علوم اللغة والأدب من أبرز العلوم التي استأثرت بعناية الإمام (محمد عبده) لا سيّما أنه كان درس في الأزهر عالمًا بمسالكه العلميّة. "وكان الأزهرُ قد درج طويلا على إغفال اللغة والأدب من مناهجه حتى أدخلهما الأستاذ الإمام في الدراسة الحرة، وجعل دراسة اللغة للشيخ الشّنقيطي، ودراسة الأدب للشيخ المرصفي، وكان ابن التلاميد آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشّعر والأخبار والأمثال والأنساب لا يندّ عن ذهنه من كلّ أولئك نصّ ولا سند ولا رواية. وكان شَموسَ الطّبع جادّ البادرة قويّ العارضة، يُجادلُ عن نفسه بالجواب الحاضر والدليل المُفحم واللسان السليط". (الزّيَّات، ١٩٦١: ص ٣٩٢).

يتضمَّن نصّ (الزَّيّات) قدرًا من الغموض المتمثّل في الأسباب المتعلّقة بظروف انتقال (ابن التلاميد الشنقيطي) من مدينة الرسول إلى قاهرة المعزّ بمصر، غير أنّ الدلالة المهمة، في شهادة (الزّيّات)، تتمثّل حدب الإمام (محمد عبده) على (ابن التلاميد الشنقيطيّ) ورعايته وتقديره له، وهو ما تمثّل في منحه منصب التدريس في الأزهر من جهة وتكليفه بإحياء الأمهّات العربيّة الكبرى الأمر الذي يدل على أنّ لـ(ابن التلاميد الشنقيطيّ) عِلْمًا راسخًا في التراث العربيّ الإسلامي وعلومه وآدابه حفّز الإمام (محمد عبده) على تكليفه بالنهوض تدريس اللغة في الأزهر الأمر الذي يدلّ على غياب العلماء المُناظرين له منزلة وقدرًا في الأزهر الذي كان يستبعد تدريس العلوم اللغوية من مناهجه. ولعلّ السبب الآخر الذي جعل الإمام (محمد عبده) حَفيًّا بـ(ابن التلاميد الشنقيطيّ) ما حدث معه من إحنٍ في المدينة المنوّرة وإسلامبول.

ويحضر (ابن التلاميد الشنقيطيّ) في واحد من أهم النصوص العربيّة وأبرزها في القرن العشرين؛ إنه نصّ كتاب "الأيام" لـ(طه حسين) (١٣٠٦ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨٨٩ – ١٣٩٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م)، الذي خصّص الجزء الثاني من أيّامه للحديث عن الدراسة في الأزهر مصوِّرًا أوضاعَه التعليميّة، وتهافتَ كثيرٍ من شيوخه، وبؤسَهم العلميَّ. لقد استحضر (طه حسين) (ابن التلاميد الشنقيطيّ) في سياق المفارقات العلميّة في الأزهر. يقول (طه حسين): "لم يكد الصّبيُّ يبلغ القاهرة ويستقرّ فيها حتى سمع ذكر الأدب والأدباء، كما سمع ذِكرَ العلم والعلماء. سمع حديث الأدب بين هؤلاء الطلاب الكبار حين كانوا يذكرون الشيخ الشّنقيطي، رحمه الله، وحماية الأستاذ له وبرّه به. وقد وقع هذا الاسم الأجنبيّ من نفس

الصّبي موقعًا غريبًا، وزاد موقعه غرابةً ما كان الصّبيُّ يسمعه من أعاجيب الشيخ وأطواره الشّاذّة وآرائه التي كانت تضحك قومًا وتُغضِبُ قومًا آخرين". (حسين، ١٩٧٧: ص ١٥٤).

وحسب (طه حسين) فقد كان (ابن التلاميد الشّنقيطيّ) أحد مؤسسي النهضة الكلاسيكيّة في الأزهر؛ إذ كان حضوره ملء البصر والسّمع، فأخباره تتواردها مجالس الأدب واللغة، كما تتناقل أحواله أفواه طلبة العلم البارزين في الأزهر. يقول (طه حسين): "كان أولئك الطلاب الكبار يتحدّثون بأنهم لم يروا قطّ ضريبًا للشيخ الشّنقيطيّ في حفظ اللغة ورواية الحديث سندًا ومتنًا عن ظهر قلب. وكانوا يتحدّثون بحدّته وشدّته وسرعته إلى الغضب وانطلاق لسانه بما لا يُطاق من القول، وكانوا يضربونه مثلاً لحدّة المغاربة". (حسين، ١٩٧٧: ص ١٥٤).

لقد كان (ابن التلاميد الشّنقيطيّ) فريد عصره علمًا ومعرفةً في التراث في مختلف مجالاته وحقوله، إضافة إلى شمائله الرصينة المتمثّلة في قوّة عارضته، وبلاغة حُجّته، وذرابة لَسْنِه، وسرعة بديهته، ورسوخ معارفه في شتى علوم العربيّة وآدابها، فضلا عن معاركه الأدبية التي عُرفت في ذلك الوقت. وعندما يُفرد (طه حسين) شَطْرًا من سيرته للحديث عن منزلة هذا الشيخ فلأنّه حظي بحضور استثنائي وتجربة بارزة ميّزته عن أقرانه من كبار شيوخ الأزهر وعلمائه، تلك المتمثّلة في امتداد تجربته وغناها وخصوصيتها وخصوبتها، يقول (طه حسين): "وكانوا يذكرون إقامته في المدينة ورحلته إلى قسطنطينية، وزيارته للأندلس، وربّما تناشدوا شعره في بعض ذلك. وكانوا يذكرون أنّ له مكتبةً غنيّة بالمخطوط والمطبوع في مصر وفي أوربا، وأنّه لا يقنع بهذه المكتبة وإنّما يُنفق أكثرَ وقته في دار الكُتب قارئًا أو ناسخًا"(حسين، ١٩٧٧: ص ١٥٤).

❖ **ابن التلاميد التّركزيّ الشّنقيطي في مرايا الشّناقطة: أبناء العَلاّت وأهوال المناكفات**

يذكر (أحمد بن الأمين الشنقيطيّ) (ت 1331هـ/ 1913م) في كتابه الموسوم بـ"الوسيط في تراجم أهل شنقيط" أنه اتفق أنْ كان (ابن التلاميد الشنقيطيّ) في الأستانة عندما وصل التماس الملك (أوسكار الثاني) إلى السلطان (عبد الحميد الثاني)؛ إذ كان (ابن التلاميد الشنقيطيّ) قد وصل قادمًا من المدينة المنوّرة حيث كان يقيم؛ وذلك لبحث أمر يتعلق بقومه الشناقطة. وتفيد مقدمة كتاب "الحماسة السنيّة الكاملة المزيّة في الرحلة العلميّة التركزيّة الشنقيطيّة" أنّ السلطان (عبد الحميد الثاني) قد أوعز لخاصّة رجالات دولته وهم: الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام، وناظر المدرسة العموميّة إبلاغ إرادته السنيّة الشيخ (ابن التلاميد) بقبول الدعوة والاستعداد للسفر إلى إستكهولم تلبية لدعوة (أوسكار الثاني) الذي نصّ في رسالته إلى السلطان (عبد الحميد) أنْ يوفد إليه نخبة من علماء العرب يكون على رأسهم الشيخ (محمد محمود بن التلاميد الشنقيطيّ التركزيّ).

ويورد (أحمد بن الأمين الشنقيطيّ) أنّ خلافًا قد نشب بين الشيخ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) ورجال السلطان (عبد الحميد الثاني) نتيجة إخلاف الأستانة بتسليم الشيخ مكافأته نظير سفارة علمية إلى إسبانيا وباريس ولندن كان قد أوفده إليها السلطان عبد الحميد الثاني هدفها جمع عناوين المخطوطات. وحسب (أحمد بن الأمين الشّنقيطيّ): "اهتم السلطان عبد الحميد، بالبحث عن الكتب العربيّة، الموجودة في اسبنيول من كتب الأندلسيين. فأشار إليه أحد رجال مملكته، أنْ يبعث محمد محمود المذكور، فبعث إليه بأن يتهيأ للسفر، فقيل ذلك بشروط. منها: أنْ يعزلَ ناظر وقف الشّناقطة في المدينة المنورة، وأنْ يعطيَه طباخًا ومؤذناً، وأنْ يعطيَه المكافأة إذا رجع، وقد ذكر هو نفسه هذه الشروط في رحلته، وإليها أشار في قصيدته المسماة: هذا حظ جدّ من المبناه. وبراءة محمد محمود من عاب الجهل الذي عبناه، بقوله:

فكان من السلطان أمرك بعدما شرطت أمورا لم تصادف أولى عزم

ثم إنّ السلطان، بعثه في وابور (سفينة) مخصوص على كيسه، وأعطاه مؤذنًا وطباخًا. وبعث معه أحد أدباء تونس، وكانا يتخاصمان دائمًا في الطريق، ثم إنه ذهب إلى إسبنيول. وكتب أسماء الكتب النادرة، التي لا توجد في القسطنطينية. ثم رجع فبعث إليه السلطان بأنْ يقدم الأوراق التي عنده، فأبى أنْ يقدّمها إلا بعد أخذ أتعابه، فبعث إليه السلطان، بأنْ مكافأته ستأتيه، فامتنع. فردّ عليه السلطان بأنْ لا حاجة له في الأوراق، فضاع سفره بغير فائدة، ثم إنّ أسكار ملك السويد والنرويج، بعث إلى السلطان، أنْ يبعث إليه وفدًا من أبناء العرب، يسألهم عن أشياء في القرآن، وعن أشعار العرب، وأنْ يكون فيهم محمد محمود الشنقيطي. فبعث إليه السلطان بأنْ يتهيأ للسفر. فقال: لا، حتى تعطوني مكافأة أتعابي. فغضب عليه السلطان، وأمره بالسفر إلى المدينة". (الشّنقيطي، ١٩٨٩: ص ٣٨١-٣٩٧).

ويذهب الباحث أنّ رواية صاحب "الوسيط في تراجم أهل شنقيط" تُحْمَلُ على كونها ضربًا من تحاسد أبناء العَلاّت؛ ذلك أنّ بين الشّناقطة خصومة معرفية تجلت في موقف (ابن التلاميد الشنقيطيّ) من مبحث لغوي يتصل بتخطئة اللغويين الذي منعوا صرف (عمر)، فكان أنْ جمع ما يربو على مئة شاهد صُرف فيها عُمَر، وألّف في الموضوع رسالتين جامعتين في الباب. وقد سبب هذا الموقف خلافات حادّة مع علماء الحرمين ومصر، ثم جاء (أحمد بن الأمين الشنقيطيّ) إلى مصر وخالف (ابن التلاميد) وألّف كتابًا عنوانه: "**الدرر في منع عمر**" ردّ فيه على ابن التلاميد.

❖ **ابن التلاميد التركزيّ الشّنقيطي وجوائز الملوك**

لقد أورد (ابن التلاميد الشّنقيطيّ) في مقدمة "الحماسة السنيّة الكاملة المزيّة في الرحلة العلميّة التركزيّة الشنقيطيّة" أنّ السلطان (عبد الحميد الثاني) قد أجاب طلب الملك (أوسكار

الثاني) فأمر السلطانُ رجال دولته؛ الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام، وناظر المدرسة العموميّة إبلاغ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) إرادته السنيّة بالتوجّه إلى استكهولم إجابة لالتماس الملك (أوسكار الثاني)، فكان من (ابن التلاميد الشنقيطيّ) أنْ أجابهم سامعًا ومطيعًا. غير أنه اشترط عليهم ثلاثة شروط لتنفيذ إرادة السلطان (عبد الحميد الثاني)، وتحقيق التماس الملك (أوسكار الثاني)؛ **أوّلها وأهمها:** قضاء وطره الذي قدم الأستانة من أجله؛ وهو رفع أيدي الظَّلَمة من أهل المدينة المنورة عن وقف الشناقطة، **ثانيها:** أنْ يكافئ السلطان (عبد الحميد الثاني) (ابنَ التلاميد الشنقيطيّ) مكافأة تناظر المكافأة التي كافأه بها على رحلته إلى الأندلس وباريس ولندن التي قام بها بتكليف من السلطان (عبد الحميد الثاني) سنة ١٣٠٤ هـ، **وآخرها:** أنْ تكون سِفارته بهدف رفعة شأن الإسلام وإعلاء لواء اللغة العربيّة وآدابها، لذلك طلب أنْ يرافقه، في سفارته، نخبةٌ من العارفين بالعربيّة وآدابها، ومؤذّنٌ، وطهاةٌ مسلمون. (التركزيّ الشّنقيطي، ١٩٠١/ ١٣١٩: ص ٢ – ٣)، و(الشّلاّحي، د.ت: ص ٢٧ – ٢٨).

ومن أجل استكمال تحضيرات سِفَارة (ابن التلاميد الشنقيطيّ) إلى استكهولم فقد حضر السفير (الكونت كرلودي لندبرج) إلى الأستانة في إسلامبول، وقد فَرِحَ واغتبط بقبول (ابنَ التلاميذ الشنقيطيّ) السّفر إلى استكهولم ليكون شخصية المجمع العلميّ الشرقيّ. وتفيد الرواية أنّ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) قد سأل السفير (الكونت كرلودي لندبرج) عن مقاصد الملك (أوسكار الثاني) من سفارته، وعمّا يريده منه. فأخبره السفير بأنّ عليه أنْ ينظم قصيدة يحاكي فيها أسلوب شعراء العرب وبيانهم في الجاهلية لا أساليب الشّعراء في الإسلام، وأنْ يضمّنها ستة أغراض أساسية؛ **أولها:** أنْ يمدح الملك (أوسكار الثاني)، فأثار هذا الغرض (ابن التلاميد الشنقيطيّ) الذي قال للسفير: فماذا أقول في مدحه؟ أأقول: إنّه مؤمنٌ مُسلم؟ فقال: لا، بل قل: إنه يُحبُّ المعارف وانتشارها، ويحبُّ العلمَ وأهله، وأنّه طلب من ملوك الممالك إرسال بعض أهل العلم إلى المُجمع، ولم يُعيّن شخصًا، وطلبَ من خليفة المُسلمين إرسالَك إليه بخصوص لغة القرآن ونصّ على اسمك **وثانيها:** أنْ يُصرّح باسم الملك ولقبه في القصيدة، **وثالثها:** أنْ يذكر فيها رحلته في طلب العلم وتحصيله، **ورابعها:** أنْ يذكر ما حصّله من العلم دون غيره من العلماء بما يظهر فضله ومزيته، **وخامسها:** أنْ يورد فيها أسماء مشاهير قبائل العرب، **وآخرها:** أنْ يذكر اسمه في القصيدة لئلا ينتحلها غيره. (التركزيّ الشّنقيطي، ١٩٠١/ ١٣١٩: ص ٢ – ٣).

فكان من (ابن التلاميد الشنقيطيّ) أنْ قبل الدّعوة على الوصف الذي عرضه السفير، وأنشأ قصيدةً ضمّنها ما بزّ به علماء العربيّة، وهو باب منع عُمَر من الصّرف؛ إذ خالف فيه إجماع علماء العربيّة، وقدّم الأدلة على أنْ "عُمَرًا" مصروفٌ، وأنّ عِلّةَ منعه من الصرف

واهية، وختم قصيدته برثاء نفسه بعد رحلة طلب العلم. وعندما عُرضت القصيدة على ناظر المعارف الوزير (منيف باشا)، والسفير نالت منهما كلّ إعجاب وثناء، فرغب السفير في طبعها لكنّ الشيخ (ابن التلاميد الشنقيطيّ) لم يأذن له حتى تتم الرحلة. (التركزيّ الشّنقيطي، ١٩٠١/ ١٣١٩: ص ٢ – ٥).

❖ **جائزة الملك أوسكار الثاني وجوائز الخلفاء المسلمين**

كان من السفير (الكونت كرلودي لندبرج) "عُمر السّويدي" أنْ سافر إلى استكهولم للتحضير للمحفل، وأنشأ باسم الملك أوسكار خطبةً باللغة العربيّة جاء فيها: "مضت القرون المتوالية وحِمى المعارف ملحوظٌ بعناية الخلفاء إذ كانوا يستجلبون رجالها إلى نواديهم بما يبذلون لهم من واسع النفقات وما يُسنّون من الجوائز حتى تكاثرت وفود العلماء على ساحاتهم وازدحمت أفواج الأدباء بأبوابهم مما كان باعثًا لهمم الطّالبيين على النشاط حتى عمَّت الفائدةُ وانتشرت المنفعة. هذا المُفضّل الضّبيّ والأصمعيّ وأبو عبيدة وأضرابهم ممّن تقدّمهم أو تأخّر في الزّمان عنهم لولا تلكم الجوائز الهائلة التي حصلوا عليها من المهديّ والرشيد وغيرهما ما وصلت العلوم المأثورة عنهم إلى ما نراها عليه اليوم من انتشارها بين الخافقين. وفي جمع المأمون العلماء ومناظرته إيّاهم المرّة بعد الأُخرى في عدّة من أنواع العلوم العالية ما يكفي حُجّة لأنّ العلمَ كان إذ ذاك تحت حماية الخلفاء، ونحن، الآن، في عصرٍ، لا جَرَم، يُذكّرنا بذلك الزّمن المُبارك، فهذا سُلطانُ الوقت صاحبُ الجلالة "عبد الحميد الثّاني" لا يزالُ يُبدي من غيرته على المعارف ما يجعلُ أيّامه بالأيّام الماضية أشبه، فلقد أرسل إلى مجتمعنا هذا رجلاً عربيًّا قُحًّا من أهل المدينة المنوّرة هو الشّيخ محمد محمود الشّنقيطيّ، وأصحَبَه من رجال التحرير في اللغة التركيّة بحضرة الفاضل مدحت أفندي الجامع في كتاباته بين حُسن السّبك وقوّة المعنى". (التركزيّ الشّنقيطي، ١٩٠١/ ١٣١٩: ص ٤ – ٥).

ويدلّ ذلك على أنّ العلاقات العثمانية الأوربيّة قد أثمرت عن سياسات ثقافية تواصليّة جعلت الغرب ينظر بعين التقدير إلى آداب العرب ولغتهم وعلومهم. يقول الملك (أوسكار الثاني) في خطبته: "فنحن نشكر جلالة السّلطان الأعظم على هذه العناية الفاضلة راجين أنْ يدومَ اتّحادنا مع جلالته في المقاصد الخيريّة، لأنّا لا نسعى إلا لما يسعى إليه من نفع الشّرق وأهليه قائلين جميعًا بوحدانيّة ربّ العالمين". (التركزيّ الشّنقيطي، ١٩٠١/ ١٣١٩: ص ٥). غير أنّ السّلطان (عبد الحميد الثاني) رفض الشّروط التي أملاها (ابن التلاميد الشّنقيطيّ)، وأمر بسفره إلى المدينة المنوّرة التي تعرّض فيها إلى مضايقات مُضاعفة حملته على مغادرتها إلى القاهرة تاركًا وراءه مكتبته في المدينة المنوّرة. وعائلته (الشّلاّحي، د.ت: ص ٢٩ – ٣١).

وتعرض قصيدة (ابن التلاميد الشنقيطيّ) المفاصل التي اشترطها عليها السفير (الكونت كرلودي لندبرج) وهي قصيدة ميميّة نهج فيها نهجَ شعراء العرب قبل الإسلام مطلعها:

ألا طرقت ميٌّ فتىً مطلعَ النّجم غريبًا عن الأوطان في أُمم العجمِ

ويوردُ فيها ما حدث مع رجالات الأستانة الذين أوغروا صدر السلطان (عبد الحميد الثاني) حسدًا وكراهةً:

أ أنت الذي اختارتك من أهل طيبة ملوكُ السّويد في مجادلها الشُّمِّ؟
فرامت من السّلطان بعثَكَ وافدًا عليهم خصوصًا أجلَ مجمعها العلميّ
فكان من السُّلطان أمرك بعد ما شَرطتَ أمورًا لم تصادف أُولي عزمِ
فساعفتهم تسعى بنفسٍ عزيزةٍ وتنظر أنْ تُقْضَى أمورُك بالتّمِّ
فسابقتهم تعدو لتسبق جمعَهم وتحطمَ طودَ الجهل أيَّة ما حطم
فما إنْ قضوا أمرًا ولا بلغوا مدىً ولا اعتذروا من ضرِّ بؤسٍ ولا عُدْمِ
فأعددتَ ما استطعت من قوّة لهم مُعدًّا رباطَ خيلِ علمِك للصّدم

وفيها يصرّح برحلته إلى الممدوح الملك (أوسكار الثاني) ويمدحه قائلاً:

فأكملتَ سؤلَ الملك تتلوه بينهم وتشدو بنُطقٍ مُعربٍ رائقٍ فخمِ
إلى ملك السّويد أسكارها الشّهمِ سأرحلُ وفدًا، لا على جملٍ وهمِ

ويضمّنها مقطعَ المثول بين يديّ الملك (أوسكار الثاني) ومدحه:

أ أسكار ذا الثاني سآتيك وافدًا على بابك السّامي لمجمعك الضّخمِ
نحلتك مدحي إذ علتْ بك همّةٌ فراسلت تبغيني لتقبس من علمي
ونوّهت باسمي، وما كان خاملاً لتجمعَ بين الاسم عندك والجسم
فحبّرت باسمي خطبةً عربيّة فسارت بها الرّكبان في النّجد والتَّهمِ
وما في ملوك الروم قبلك من رجا حضوري لديه لاشتهاريَ بالعلم
مآدبُ كلِّ النّاس للطُّعم وحده ومأدبتا أسكار للعلم والطّعم

وتظهر، في هذه القصيدة، مياسم شخصية (ابن التلاميد الشّنقيطيّ) المتمثّلة في الاعتداد بالنفس والآنفة والشجاعة. (ولد عتّيه، ٢٠١٥: ص ١٩٦ – ١٩٧).

❖ **خلاصة البحث**

يظهر من خلال هذا البحث أنّ للأدب العربيّ موقعًا مركزيًّا في الآداب العالمية، وأنه يملك أسبابًا ذاتية وموضوعيّة لهذا الموقع بعيدًا عن تعالي الأدب العالميّ الصّادر عن المركزيّة الغربيّة، ومُصادرات النزعات الاستشراقية التحقيبيّة التي تحطّ من أثر الآداب العربيّة ولغتها لأسبابٍ حضاريّة ودينيّة، وهيمنة المنظور الكولونياليّ الذي يجعل من الأدب العربيّ الحديث مدارًا من مدارات المركزية الغربيّة.

كما أنّ البحث قد استطلع سياقًا ثقافيًّا مهمًّا تمثّل في القرن التاسع عشر الذي كشف عن عمق الصّلات الثقافية بين العرب والغرب، وأنّها صلات وعلاقات تخضع للسياسات الثقافية والعوامل الحضارية القائمة بين الأمم، وهي سياسات وعوامل يحكمها التحوّل ويسيطر عليه التبدّل، الأمر الذي يعني أنّ ارتهان الثقافة والأدب العربيين معرفيًّا ونقديًّا للغرب ارتهانٌ أملته ظروف التبعيّة والاستعمار الذي لا يزال مُخيّمًا في بلادنا العربيّة، ولعلّ تمثيلات التبعية والاستعمار الثقافية أشدُّ أشكال التّمثيلات جلاء ومضاضةً وغموضًا وتعقيدًا.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: باللغة العربيّة

١. أبو العلا، محمد حُسين (١٩٩٦)، *أُمّتنا وجوائز نوبل*، ط١، الفتح للإعلام العربيّ، القاهرة.

٢. الأثري، محمد بهجة (١٩٢٦)، أعلام العراق: كتابٌ تاريخيٌّ أدبيٌّ انتقاديٌّ يتضمّنُ سيرة الإمام الألوسيّ الكبير وتأبين العُلماء والأدباء وتراجم نوابغ الألوسيين، ط١، المكتبة السلفيّة، القاهرة.

٣. أحمد، سامي سليمان (٢٠١٦)، التّمثّل الثّقافي وتلقي الأنواع الأدبيّة الحديثة: تجربة النقد العربيّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة.

٤. اصطيف، عبد النبي (٢٠٠٠)، بين المركز والمحيط: الأدب العربي في دائرة الأدب العالميّ، مجلة المعرفة، وزارة الثّقافة السّوريّة، دمشق، السنة ٣٩، العدد ٤٤٠.

٥. الآلوسي، أبو المعالي محمود شكري (٢٠١٤)، بدائع الإنشاء، تحقيق: خالد بن محمد بن غانم بن علي آل ثاني، ط١، دار الكُتب القطرية، الدوحة.

٦. أوستلر، نيقولاس (٢٠٠٥)، إمبراطوريات الكلمة: تاريخ للُّغات في العالم، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ٢٠١١، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٧. بدوي، عبد الرحمن (١٩٩٣)، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت.

٨. التركزيّ الشّنقيطي، محمد محمود بن التلاميد (١٩٠١/ ١٣١٩)، الحماسة السنيّة الكاملة المزيّة في الرحلة العلميّة التركزيّة الشنقيطيّة، ط١، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٣١٩.

٩. حسين، طه (١٩٥٣)، من حديث الشّعر والنّثر، ط١، دار المعارف، مصر.

١٠. الزيات، أحمد حسن (١٩٦١)، من ذكريات الأزهر: كيف عرفتُ الشّنقيطي؟، مجلّة الأزهر، الجزء الرابع – المجلّد الثالث والثلاثون، ١٩٦١.

١١. السّامرائي، إبراهيم (١٩٩٢)، السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب، ط١، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

١٢. سمايلوفتش، أحمد (١٩٩٨)، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربيّ المعاصر، ط١، دار الفكر العربيّ، القاهرة.

١٣. شاكرابارتي، ديبيتش (٢٠١٦)، دراسات التّابع والتّاريخ ما بعد الكولونيالي، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، تصدر عن المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، العدد الثالث، ٧ – ٢٣.

١٤.الشّلاّحي، رائد بن حسن (د.ت)، قطف العناقيد من ترجمة الشّنقيطيّ ابن التّلاميد (رحمه الله)، تقديم: محمد حسّان الطّيان، د. ط،ن.
١٥.الشنقيطي، أحمد بن الأمين (١٩٨٩)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط٤، مطبعة المدني، القاهرة.
١٦.عصفور، جابر (٢٠١٤)، القصّ في هذا الزمان، ط١، الدار المصرية اللبنانيّة، القاهرة – بيروت.
١٧.العقّاد، عبّاس محمود (٢٠١٤)، جوائز الأدب العالميّة: مثلٌ من جائزة نوبل، ط١، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة.
١٨.كازانوفا، باسكال (١٩٩٩)، الجمهوريّة العالميّة للآداب، ترجمة: أمل الصبّان، ٢٠٠٢، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
١٩.كيليطو، عبد الفتاح (٢٠٠٢)، لن تتكلّم لغتي، ط١، دار الطليعة للطّباعة والنّشر، بيروت.
٢٠.موازان، كليمان (١٩٨٧)، ما التاريخ الأدبي؟، ترجمة: حسن الطّالب، ٢٠١٠، ط١، دار الكتاب الجديد المُتّحدة، بيروت.
٢١.المويلحيّ، محمد (١٩٥٩)، حديث عيسى بن هشام، ط١، دار الهلال، القاهرة.
٢٢.هدّارة، محمد مصطفى (١٩٩٠)، دارسات في الأدب العربيّ الحديث، ط١، دار العلوم العربيّة للطباعة والنشر، بيروت.
٢٣.ولد عتّيه، إدريس (٢٠١٥)، ابن التّلاميد ... المَعلمةُ الشنقيطيّة الخالدة، أعمال المؤتمر الدولي الرّابع للغة العربيّة، المؤتمر الدولي الرابع، دبي، ٦ – ١٠ مايو ٢٠١٥.
٢٤.يقطين، سعيد (٢٠١٢)، قضايا الرواية العربيّة الجديدة: الوجود والحدود، ط١، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ودار الأمان ومنشورات الاختلاف، بيروت – الدار البيضاء – الجزائر.

REFERENCES:

1. Abu Al-Ela, Muhammad Husayn, 1996, Our Nation and the Nobel Prizes, 1st Edition, Al-Fath for Arab Media, Cairo.
2. Ahmed, Sami Soliman, 2016, Cultural Representation and Receiving Modern Literary Genres: The Experience of Arabic Criticism in the Second Half of the Nineteenth Century, 1st Edition, Literature Library, Cairo.
3. Al-Akkad, Abbas Mahmoud, 2014, International Literature Awards: An Example of the Nobel Prize, 1st Edition, Hendawi Foundation for Education and Culture, Cairo.
4. Al-Alusi, Abu al-Maali Mahmoud Shukri, 2014, Badaa'i al-Insha, edited by: Khalid bin Muhammad bin Ghanim bin Ali Al Thani, 1st Edition, Qatari Books House, Doha.
5. Al-Athari, Muhammad Bahja, 1926, The Flags of Iraq: A critical literary historical book that includes the biography of the great Al-Alusi Imam, the memorial of scholars and writers, and the biographies of the Alusian geniuses, i 1, the Salafist Library, Cairo.
6. Allen, Roger, 2006, "The post-classical period: parameters and preliminaries", Edited by Roger Allen, & D. S. Richards, Arabic Literature

in the Post-Classical Period, pp 1-22, Cambridge University Press, United Kingdom.
7. Al-Muwailhi, Muhammad, 1959, the hadith of Issa bin Hisham, 1st Edition, Dar Al-Hilal, Cairo.
8. Al-Samarrai, Ibrahim, 1992, Mr. Mahmoud Shukri Al-Alousi and Reach Arb, 1st Edition, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.
9. Al-Shalahi, Raed bin Hassan, picking clusters from the translation of Al-Shanqeeti Ibn Al-Talamid (may God have mercy on him), presented by: Muhammad Hassan Al-Tayyan, d.
10. Al-Shanqeeti Al-Turkazi Al-Shanqeeti, Muhammad Mahmud Ibn Al-Talamid, 1901/1319, The full-fledged Sunni enthusiasm in the Shanqeeti Focus Scientific Journey, 1st Edition, Encyclopedias Press, Cairo, 1319
11. Al-Shanqeeti, Ahmad Ibn Al-Amin, 1989, the mediator in the translations of Chinguetti writers, 4th edition, Al-Madani Press, Cairo.
12. Al-Zayyat, Ahmad Hassan, 1961, From Memories of Al-Azhar: How Did I Know Al-Shanqeeti ?, Al-Azhar Magazine, Part Four - Volume 33, 1961.
13. Asfour, Jaber, 2014, Storytelling in This Time, 1st Edition, The Egyptian Lebanese House, Cairo - Beirut.
14. Astif, Abdul Nabi, 2000, Between the Center and the Ocean: Arabic Literature in the Department of World Literature, Al-Maarifa Magazine, the Syrian Ministry of Culture, Damascus, Year 39, Issue 440.
15. Badawi, Abd al-Rahman, 1993, Encyclopedia of Orientalists, 3rd Edition, Dar Al-Alam Al-Malayn, Beirut.
16. Casanova, Pascal, 1999, The International Republic of Literature, translated by: Amal Al-Sabban, 2002, 1st Edition, Supreme Council of Culture, Cairo.
17. Chakrabarty, Dibbich, 2016, Studies of Post-Colonial History and Traceability, Legend for Historical Studies, published by the Arab Center for Research and Policy Studies, third issue, 7-23.
18. Haddara, Muhammad Mustafa, 1990, Studies in Modern Arabic Literature, 1st Edition, Dar Al Uloom Arab Printing and Publishing, Beirut.
19. Hussein, Taha, 1953, from Hadith of Poetry and Prose, 1st Edition, Dar Al Maaref, Egypt.
20. Khalifah, Omar, 2017, Anthologizing Arabic Literature: The Longman Anthology and the problems of World Literature, Journal of World Literature, 2, 512 – 526.
21. Kilito, Abdel Fattah, 2002, You Will Not Speak My Language, 1st Edition, Dar Al-Taleea Printing and Publishing, Beirut.
22. Macro, Eric, 1993, The Austrian Imperial Academy's Expeditions to South Arabia 1897-1900 C.de Landberg, D.H Müller and G.W Bury, New Arabian Studies, Edited by: R. B. Serjeant, R. L. Bidwell, G. Rex Smith Volume 1, 54 – 82.
23. Mawazine, Clement, 1987, What is Literary History ?, Translated by: Hassan Al-Talib, 2010, ed. 1, The New Book House, Beirut.

24. Menocal, María Rosa, 1987, The Arabic Role in Medieval Literary History: A Forgotten Heritage, University of Pennsylvania Press.
25. Ostler, Nicholas, 2005, Empires of the Word: A History of the Languages of the World, translated by: Muhammad Tawfiq Al-Bajermi, 2011, i1, Arab Book House, Beirut
26. Ould Attieh, Idris, 2015, son of the Talamid ... the eternal Shanqiti teacher, works of the Fourth International Conference on the Arabic Language, the Fourth International Conference, Dubai, 6-10 May 2015.
27. Smaylovitch, Ahmed, 1998, The Philosophy of Orientalism and its Impact on Contemporary Arab Literature, 1st Edition, House of Arab Thought, Cairo.
28. Yoktin, Said, 2012, Issues of the New Arabic Novel: Existence and Limits, 1st Edition, Arab Science Publishers, Dar Al-Aman and Publications of Difference, Beirut - Casablanca - Algeria.